إمكانات الفصحى في التعريب

عودة الله منيع القيسي

معروف ان اللغة العربية خاضت تجربة التعريب في حقبة سابقة ، قبل العصر الحديث ، ذلك ايام الدولة العباسية ٠

فقد ترجم كتب كثيرة في فنون مختلفة ، منها العلوم التقنية ، كالطب والفلك والكيمياء ترجمت الى اللغة العربية ، فلم تضق العربية بشيء من هذه العلوم ، ولم نجد أحدا من المترجمين وحملة الاقلام يشكو من أن العربية تضيق بالمعاني المترجمة او انها لا توفر الكلمات الاصطلاحية للمفاهيم الجديدة ٠

أما الشكوى من العربية ٠٠ أنها لا تفي بمتطلبات الترجمة ولا توفر مادة كافية للمصطلحات الجديدة ٠٠٠ فلم تعرف الا في العصر الحاضر ، عندما بدأ نقل العلوم الحديثة الى اللغة العربية ٠

ـ لماذا ـ اذن ـ كانت الشكوى في التجربة الحديثة ولم تكن في التجربة القديمة ؟

مع وعينا على أن ما يطرحه العصر الحاضر من كتب واجبة الترجمة ، ومن مصطلحات يبلغ عشرات أضعاف

---

* بحث مقدم الى ندوة : التعريب وتوحيد المصطلحات العلمية والتقنية ، الجزائر 23 نيسان (أبريل) 1984 ٠

ما كان في العصر العباسي ·· فان لهذه الشكوى علـلا تدعونا الى (ادانة) هذه الشكوى ··· منها :

1 ـ أن المستشرقين الحاقدين علـى الامـة العربيـة والاسلامية هم الذين روجوا هذه الشكوى أساسا زاعمين أن العربية ليست لغة علمية ، فلا تصلح ـ اذن ـ للترجمـة · ثم تابعهـم تلامذتهـم أو السائرون خلف كل ناعق ، المقلدون لكـل قـول غريب ، أو التائقون الى هدم مجد العرب والاسلام·

2 ـ أن الامة القروية المعتزلة بكيانها ووجودها لا يخطر ببالها مثل هذا الشعور ، بل تجد نفسها قادرة على اجتياز أعتى العقبات ، وفي مجال اللغة ·· لا يخطر ببالها أن لغتها ضعيفة ، أو أنها عاجزة عن مواجهة التحدي التي تطرحه الترجمة ونقل المصطلحات · يدلنا على ذلك أن اللغة اليابانية من أصعب اللغات، وأن حروفها أشبه بالرسوم الهندسية المعقدة ، حتى ليخيل للمرء أن التلميذ الذي يقضي فصـلا لمعرفة أشكال الحروف العربية وكتابتها يقتضيه معرفة أشكال اللغة اليابانية أربعة فصول دراسية على الاقل · ومع ذلك ··· لم نسمع أن اليابانيين يشكون من لغتهم ، أنها غير قادرة على الترجمة أو على استيعاب المخترعات الحديثة ·

ان اللغة ··· صورة رمزية لشخصية الامـة · وعلى هذا ··· فالامة التي تشكو من ضعف لغتها، هي ـ في الحقيقة ـ تحكم على نفسها أنها أمـة ضعيفة متخلفة · ان ضعف اللغة ـ في حقيقته ـ هو ضعف أمة ، لان اللغة ـ الى حـد مـا ـ افراز اجتماعي حضاري · ولهذا لا نجد أمة قوية تكثـر الشكوى من ضعف لغتها ·

3 ـ ان اللغة العربية ـ في حقيقتها ـ على خلاف مـا يزعمه الزاعمون هي من أغنى اللغات على وجـه الارض ؛ بل هي أغنى لغة من حيث القدرة علـى التوليد · لا نقول ذلك عاطفة وحمية ، وانما نقوله انطلاقا من مقارنة عملية بينها وبين الانجليزية ، نشرتها ، على حلقات ، في مجلة (هدي الاسلام) الاردنية · نكتفي ـ هنا ـ بالاشارة الـى بعض عناصر هـذه المقـارنـة :

أ ـ صوت الحرف في العربية واضح محدد ، ولذلك فالطالب الذكي ، في مستوى المرحلة الاعدادية ، يستطيع أن يقرأ كل كلمة مشكولة ، وان لم يسبق له أن قرأها أو سمعها ·

أما صوت الحرف في الانجليزية ـ مثلا ـ فليس كذلك ، وخاصة حروف العلة ، ولذلك فالانجليزي خريج الجامعة ، متخصصا بالادب الانجليزي ، لا يستطيع أن يقرأ كثيرا من الكلمات الجديدة التي لم يسمع بها من قبل ، عندما تحتوي هذه الكلمات حروف علـة ·

والا ··· فلماذا نقرأ (god) بمد حرف الـ (0) وكـأنـه (A) ، في حين تقرأ (good) بالخطف ، كأنها لا تحتوي حرف الـ (0) الا مرة واحـدة · وتقرأ (goby) بمد حرف الـ (0) وكأنه مضاعف· ونـقـرأ (gold) وكأنها تحتوي حرف الـ (0) ، مضاعفا ثلاث مرات تقريبا ·

وهكذا هو الامر في كثير من الكلمات التي تضم بين حروفها حرف علـة أو أكثـر ·

ب ـ ومثـل القـراءة ··· الامـلاء ·

فالاملاء في العربية ليس فيه صعوبة كبيرة فكما تصوت تكتب ، بعد أن تجتاز مرحلة التمييز بين صوت الحرف والحركة وبين صوت الحرف يتصل به حرف مد · وهذا التمييز يحصل في نهاية المرحلة الابتدائية لدى التلميذ النابه · وما يشذ عن هذه القاعدة : (كما تصوت تكتب) انما هو كلمات قليلة مثل : (لكن وهذا والسموات) أو كلمات لها قاعدة تنتظمها كتلك التي تنتهي (بواو الجماعة) · وليس كذلك الانجليزية ··· فالصعوبة التراثية فيها تنعكس صعوبة املائية · فلا يستطيع المرء أن يكتب الكلمات التي تضم حروف علة ، الا اذا كان قد قراها من قبل ، وحفظ صورها ·

4 ـ المنطقية والاعتباطية : معروف أن اللغة الانجليزية لغة (اعتباطية) (Arbitrary) ، يقول هذا أهلها أنفسهم ، وهذا يعني أن معظم استعمالاتها ليس لها أسباب منطقية معقولة · ونذكر على ذلك أمثلة ، مجرد أمثلة للتوضيح :

ـ اسم الفاعل في العربية له صورتان قاعديتان ، الاولى أن كل فعل ثلاثي يكون ، اسم الفاعل منه على وزن فاعل ، وكل فعل فوق الثلاثي فاسم الفاعل منه يكون على وزن مضارعه ، بعد أن يبدل حرف المضارعة ميما مضمومة ويكسر ما قبل الآخر · أمر واضح مبني على قاعدة محددة ·

اما اسم الفاعل في الانجليزية ···· فليس له قاعدة معروفة ولا تعليل ما ، فمرة ينتهي بـ (er) مثل (doer) ·ومرة بـ (ant) مثل (participant) ومرة بـ (an) مثل (magician) ، ومرة بـ (ing) مثل (going)
وهكذا ···· كثير . ولكن الاهم ان ليس ثمة قاعدة تضبط كل استعمال من هذه الاستعمالات وغيرها ·

ـ سلب الفاعلية : بعض الافعال في العربيه لا يأتي منه اسم الفاعل · مثل : فرح ، حزن · مرض ، سعد ··· فهذه وأمثالها لا يأتي منها اسم الفاعل ، وانما يسد مسده (الصفة المشبهة) · فلماذا ؟ العلة انها أفعال (لا ارادية) ، والفاعلية قائمة ـ عقلا ـ على أن الفعل ارادي · أي على أن المرء يقوم بالفعل بارادته ، أما الافعال التي تفرض عليه او تدخل الى نفسه بغير ارادة منه ،، فهو ليس فاعلا لها · ولهذا : كان الاحجى ألا يأتي منها اسم فاعل ·

أما الافعال في اللغة الانجليزية التي لا يأتي منها اسم فاعل · فليس لها تعليل ما · انها اجراءات اعتباطية ·

كل هذا الذي ذكرناه عن خصائص العربية وتفوقها على الانجليزية ، وعن تجربتها القديمة الناجحة يعني انها لغة غنية قادرة على استيعاب الافكار والمعلومات الجديدة ، قادرة على نقل المفاهيم والمصطلحات الجديدة أي قادرة على التعريب · وما يقع من نقص انما هو لنقص العلم بها أو لنقص في الظروف الاجتماعية والحضارية التي يعيشها أهلها ·